ومن سورة الزمر

obeikandl.com

obeikandl.com

٦٣٢ - مسألة: قالوا: ثم ذكر تعالى ما يدل على أنه لم يهد للكافرين فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾(١).

والجواب عن ذلك قد تقدم، لأنا قد بينا أن الهدى قد يكون لغير معنى الدلالة، كما يراد به الدلالة. والمراد به فى هذا الموضع أنه لا يهديه للثواب لأجل كفره وكذبه، أو لا يهديه بزيادات الهدى من حيث لم يهتد، ولذلك أورد الهدى بلفظ الاستقبال، وإن كان كاذبًا كافرًا فى الحال.

والذى ينبغى أن يعلم فى هذا الباب: أنه تعالى متى نفى الهدى عمن وصفه بصفات الذم، فالواجب أن يكون محمولاً على ما قلناه، من أنه لا يهديه إلى الثواب، ليصح تعلقه بما تقدم، ولهذا قال تعالى فى السورة التى بعدها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(٢) وقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾(٣) إلى غير ذلك. وهكذا القول فى الضلال إذا علقه تعالى بين وصفه بالذم أو بالأفعال المقتضية للذم، فى أنه يجب حمل الضلال على العقاب، وعلى الذهاب عن الثواب وطريقه. وهذا كقوله: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾(٤)، ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾(٥)، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾(٦).

٦٣٣ - وقوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾(٧) يدل على أنه تعالى لا يريد الكفر الواقع؛ لأنه لو أراده

(١) سورة الزمر: الآية ٣.
(٢) سورة غافر: الآية ٣٨.
(٣) سورة النحل: الآية ٣٧.
(٤) سورة غافر: الآية ٣٤.
(٥) سورة إبراهيم: الآية ٢٧.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢٦.
(٧) سورة الزمر: الآية ٧.

obeikandl.com

لوجب، متى وقع، أن يكون راضيًا له وبه؛ لأن الرضا بالفعل ليس إلا ما ذكرناه، ولذلك يستحيل أن نريد من غيرنا شيئًا ويقع على ما أردناه، ولا نكون راضين به، أو نرضاه وإن لم نرده ألبتة.

فإذا صح ذلك وبين أنهم إن كفروا لم يرض ذلك مع ووعه، فقد دل ذلك على ما ذكرناه.

وفصلُه تعالى بين الشكر والكفر فى إثبات الرضا بالشكر ونفيه عن الكفر من أدل الدلالة على أنه تعالى يريد الطاعات ويرضاها دون المعاصى والكفر.

٦٣٤ - وقوله تعالى ﴿**وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾[1] فقد بينا أنه يدل على أن أحدًا لا يؤخذ بذنب غيره. ويدل على نفى تعذيب أطفال المشركين.

٦٣٥ - وقوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ**﴾[2] يدل على أن من أخبر الله تعالى يعذبه لا يخرج من النار، فإذا صح أنه أخبر بذلك فى الفجّار والفسّاق فيجب ذلك فيهم.

وبدل أيضًا على أنه، ﷺ، لا يشفع لهم؛ لأنه لو شفع لهم لوجب أن يكون منقذا من النار، وقد نفى الله تعالى عنه ذلك.

٦٣٦ - وقوله: ﴿**لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ**﴾[1] يدل على أنهم يختصون بالجنة.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٧.

(٢) سورة الزمر: الآية ١٩.

(٣) سورة الزمر: الآية ٢٠.

obeikandi.com

٦٣٧ - وقوله مـن بعد: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾(١) يدل على أن ما تخوَّف وتوعَّد به لا يجور فيه الخلف، كما لا يجوز فى وعده.

٦٣٨ - وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾(٢) لا يدل على أنه تعـالى يخلق الإيمـان والثـبات عليـه، وذلك لأن ظاهر شـرح الصـدر لا يجـوز أن يكون هو المراد؛ لأن ذلك يرجع إلى تفـريق الأجـسـام وبسطها، وذلك غير مراد، فـالمراد بالكلام غير ظاهره، وقد علمنا أن الإيمان ليس بشرح الصدر فى الحقيقة، فكيف يصح حمله عليه؟

وإنما أراد تعالى بذلك زيادات الألطاف وإيراد الأدلة والخـواطر، على ما قدمناه من قبل.

وقوله تـعالى: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ أراد بذلك الهـدى والدلالة وإنما سمّاه نورًا، من حيث يهدى به وإن كان يدل على أنه قد اهتدى، فجعله نورا فى الحقيقة.

٦٣٩ - وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾(٣) يدل على أنه محدث؛ لأن الحديث هو المحدث إذا تقارب وجـوده، وتقول العرب فيما تقادم وجوده: قديم؛ فصلاً بينه وبين مـا تقارب وجوده، فإذا وصفه - تعالى - بأنه حديث، فيـجب كونه محدثًا، ولها وصف الحديث الذى يتـجارى فيه وبه بهذا الوصف؛ لأنه حـادث فى الوقت، ولهذا يصفون مـا تقارب وجوده بأنه حديث، وما تقدمه فى السنة الماضية بأنه عتيق.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٢٠.

(٢) سورة الزمر: الآية ٢٢.

(٣) سورة الزمر: الآية ٢٣.

ووصفه - تعالى - للكتاب بأنه منزل يدل أيضًا على ما قلناه؛ لأنه إن كان قديمًا فذلك يستحيل فيه، فلابد من أن يراد به أنه منزل إما بنفسه أو بمحله. وكل ذلك يقتضى حدوثه.

ووصفه بأنه متشابه، وأراد به أنه منشأ كل فى الحكمة، يقتضى أيضا حدثه، لأن القديم يستحيل فيه أن يكون أشياء متشابهة.

٦٤٠ - وقوله من بعد: ﴿**ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ**﴾(١) يدل على أن الهدى هو الدلالة والبيان، وأنه يهدى به المكلف، وإنما قال: ﴿**يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ**﴾ لأنه يهدى بذلك من بلغ حد التكليف من عباده، بأن يجعله دلالة لهم دون سائر العباد، فالتخصيص صحيح فى هذا الباب، وإن قلنا إن الدلالة عامة فى جميع المكلفين.

٦٤١ - وقوله تعالى من بعد: ﴿**قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ**﴾(٢) يدل أيضا على حدثه، من حيث وصفه بكلا الوصفين.

٦٤٢ - وقوله تعالى من بعد ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ**﴾(٣)يجب أن يحمل على الثواب والعقاب؛ لأن من هداه الله إلى الثواب فلا مضل له عنه، ومن أضله عنه وعاقبه فلا هادى له إليه. وقد بينا من قبل أن ذلك الظاهر لا يدل على ما يزعمونه فى الضلال والإيمان، من أنه الإيمان والكفر.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٢٣.

(٢) سورة الزمر: الآية ٢٨.

(٣) سورة الزمر - الآيتان ٣٦، ٣٧.

obeikandi.com

٦٤٣ - وقوله تعالى من بعد: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[١] لا يدل على أن الله - تعالى - خلق الموت والقتل فيه؛ لأن ظاهره إنما يقتضى أنه يتوفى الأنفس، والتوفى لا يفيد الموت والقتل.

وإنما المراد: أنه يستوفى ما فيها من الروح، إما بنفسه وإما بأمره، فيكون متوفيًا لها، ومتى أريد بذلك الموت فهو مجاز، وقد بينا أنه لو حمل على الموت لم يمنع ذلك من كون القتل فعلا للقاتل وإنما كان يجب أن يقال: أنه - تعالى - يُحدثُ مع القتل موتًا، وهذا مما نأباه.

٦٤٤ - وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٢] لا يدل على ما يقوله المرجئة من أن الفاسق يغفر له إذا كان من أهل الصلاة، وذلك لأن ظاهره بأن يتناول الكافر أولى؛ لأنه أدخل فى كونه مسرفًا على نفسه، ولا يكاد يقال فى ذلك فى كل من عصى، وإنما يقال فيمن بالغ فى المعصية وانتهى فيه إلى غاية عظيمة، فإذا لم يوجب ذلك غفران الكفار فبأن لا يوجب غفران الفساق أولى.

وبعد، فإنه يوجب بظاهره أنه تعالى يغفر لهم لا محالة، وليس ذلك بقول لمن يعرف من المرجئة، ويوجب القول بأنه تعالى قد أغرى بالمعاصى من حيث علمناه أنه يغفرها لا محالة، وهذا مما لا يجوز فى تكليف الحكيم.

وبعد، فإن القنوط من رحمة الله هو أن يعتقد المسرف على نفسه أنه لا يغفر له ألبتة، فأما إذا اعتقد أنه يغفر له بالتوبة، فإنه لا يكون قانطًا، فيجب أن تكون المغفرة المذكورة على الوجه الذى يخرج المسرف على نفسه من أن

(١) سورة الزمر: الآية ٤٢.

(٢) سورة الزمر: الآية ٥٣.

يكون قانطًا من رحمة الله، ولا يوجب ذلك إلا جواز المغفرة على بعض الوجوه فقط فمن أين أنه تعالى يغفر على كل حال.

وبعد، فإنه تعالى بين من بعد أنه يغفر مع التوبة والإنابة، فقال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾(١) ولو أراد المغفرة على كل وجه لم يخوف من العذاب إذا هم لم ينيبوا ولم يسلموا، بل كان يجب زوال العذاب عنهم للمغرفة المتقدم ذكرها، أنا ولو أسلموا أم لم يفعلوا ذلك.

وبعد، فإذا ثبت أن الكفار داخلون فى الآية صح أن المغفرة بشرط التوبة، فكذلك المغفرة فى الفساق؛ لأن الكلام على وجه واحد [و] لا يمكنهم التلخص من ذلك إلا مع القول بأنه تعالى إنما أراد الفساق فقط. وقد بينا أن وصفه لهم بأنهم أسرفوا على أنفسهم كالمانع من ذلك، على أن فيما بعده ما يدل على أن الآية فى الكفار فقط، وهو قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾(٢)؛ لأن هذا راجع إلى ما تقدم.

٦٤٥ - وقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾(٣) يدل على أن التوبة والإنابة لا تنفع إذا جاء العذاب، على ما نقوله؛ من أن أهل النار ملجئون، فلا تقبل لهم توبة.

٦٤٦ - وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾(٤) يدل على أن من جاءه العذاب لا يكون له ناصر، وفى هذا إبطال القول بالشفاعة.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٥٤.

(٢) سورة الزمر: الآية ٥٩.

(٣) سورة الزمر: الآية ٥٤.

(٤) سورة الزمر - تتمة الآية ٥٤.

obeikandi.com

٦٤٧ - وقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾(١) لا يدل على أن الله جنبًا على مـا تقوله المشبهـة وذلك أن هذه اللفظة إذا ذكرت مع الفعل الذى يفعل للغير أو لأجل الغير، فالمراد به الذات، وهو الذى يعقل من قول القائل: احتملت هذا فى جنب فلان، وكسبت المال فى جنب فلان، فإنما أراد الله تعالى: على ما فـرطت فى ذات الله، ومتى لم يحمل على هذا الوجه لم يفد ألبتة.

وتدل هذه الآية على اعتـرافهم بأنهم فرَّطوا، وذلك يوجب أن قـصَّروا فيمـا كُلِفوا، ولا يكونون كذلك إلا وكان مـتمكنين قادرين على الاستـقامة، فلما زاغوا عنها حصلوا مفرطين.

٦٤٨ - وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾(٢) مما كان يحلف الحسن البصرى، عليـه رحمة الله، أن الله تعالى ما أراد به إلا المجبرة، لأنهم كذبوا عليه فى إضافة القبائح إليه!

٦٤٩ - وأما قوله: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(٣) فقد تقدم القول فيه.

٦٥٠ - وقوله بعده: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾(٤) يدل على أن المراد بالأول: الأجـسام والنعم؛ لأنهـا التى يصح وصف القـديم بأنه وكـيل عليهـا، دون المعلومات وما شاكلها من أفعال العباد.

٦٥١ - وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾(١) فلا يصح تعلق المشبهة أن لله تعالى يمينًا. ولا بقوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ أن له كفا، وذلك لأن

---

(١) سورة الزمر: الآية ٥٦.

(٢) سورة الزمر: الآية ٦٠.

(٣) سورة الزمر: الآية ٦٢.

(٤) سورة الزمر - تتمة الآية ٦٢.

(٥) سورة الزمر: الآية ٦٧.

التعارف فى اللغة أن التمدح بما يجرى هذا المجرى إنما يريد به الملك والاقتدار، ليصح فيه التمدح، وذلك لأن المتعالم أن كون الشىء فى يد الإنسان لا يمنع كونه ملكا لغيره، وأن لا يكون مقتدراً عليه، وإنما كان متمدحا متى حُمل على طريقة الملك، ولذلك قالوا فى المملوك هذه اللفظة، وأن فلانا يملك عبده ملك اليمين، وإنما أرادوا بذلك المبالغة فى كونه مالكا؛ لأن حظ اليمين فى هذا الوجه أقوى من حظ الشمال؛ لأنها أشرف اليدين، فلما قالوا فيما يملكه إن يده تحتوى عليه، وقد صار فى يده، لم يمتنع أن يحققوا ذلك بذكر اليمين. وقد بينا القول فى ذلك من قبل وشرحناه.

وكذلك فإنما يراد بأن الشىء فى قبضة فلان، أنه يصرِّفه كيف أراد، وأنه مستجيب له فيما شاء، فلما كانت الأرض هذه حالها مع الله تعالى، وكذلك السموات، جاز أن يتمدح بأنها فى قبضته، وأن السموات مطويات بيمينه.

***

obeikandl.com

ومن سورة المؤمن[1]

(١) سورة غافر.

obeikandl.com

obeikandl.com

٦٥٢ - مسألة: قالوا: ثم ذكر تعالى فيها ما يدل على أنه يفعل المعاصى ويزيلها، فقال: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾(١).

والجواب عن ذلك: أن الآية واردة فى أهل الآخرة، ولا يجوز أن يقال: إنهم هناك مكلفون يُفْعَل فى بعضهم السيئات، وبوقّاها البعض، فيجب أن تكون محمولة على العذاب الذى فى التخلص منه ثبوت الرحمة والفوز المبين، على ما ذكره تعالى. ولا يمتنع فى العذاب وإن كان حسنًا أن يوصف بذلك من حيث كان ضررًا، فشُبِّه بالسيئات، على ما ذكرناه فى وصفه بأنه شر فيما تقدم، يبين ذلك أن السيئات تقدمت منهم، والدعاء فيه بما ذكره فى الآية يقتضى أنه متوقع فلا يجوز أن يكون محمولا عليه.

٦٥٣ - وقوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾(٢) لا يدل على ما تقوله المشبهة من أنه فى مكان، وذلك أن ظاهرها إنما يقتضى أنه رفيع الدرجات، وليس فيه أنه عليها، ودرجات الله عندنا رفيعة؛ لأنها للمؤمن فى الجنة، ومتى قيل: دور زيد حسنة، لم يوجب ذلك أن يكون فيها، فكذلك القول فيما ذكرناه. وإضافة العرش إليه لا يقتض أنه عليه، كما أن إضافة البيت إليه بمثل هذه اللفظة لا يقتضى أنه فيه.

وهذه اللفظة قد تستعمل على وجوه، فيقال: زيد ذو إحسان، وذو أفضال، وذو قدر، وذو لحية حسنة، وذو جمال وأخلاق، والمراد بها يختلف، فلا يصح تعلقهم بظاهرها.

---

(١) سورة غافر: الآية ٩.

(٢) سورة غافر: الآية ١٥.

obeikandi.com

٦٥٤ - وقوله تـعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾(١) يدل على أن أحدًا لا يؤخذ اليوم بذنب غـيره. ويدل أيًا على أن من يستحق على عمله شيئًا أنه يجازى به فى ذلك اليوم، وفى ذلك إبطال القول بالشفاعة على الوجه الذى يقوله القوم؛ لأن إثباته كـذلك يؤدى إلى أن فيهم ذلك اليوم من لا يجازى بما عـمل، وذكر تعالى الكسب وأراد به العذاب والـثواب؛ لأن ما يستفـيده الفاعل بفعله من المنافع أو يجتنبـه من المضار يوصف بأنه كسب له، ولذلك يقال فى المال الذى ربحه التاجر إنه كسبه، فهو على هذا حقيقة، وإن لم يمتنع أن يقال إنه تعالى ذكر الكسب وأراد المستحَق عليه.

٦٥٥ - وقوله تعالى بعد: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾(٢). بين [فى] أن الظالم لا يشفع له النبى ﷺ، وأن الشافعـة لا تكون إلا للمؤمنين لتحصل لهم مزية فى التفضل وزيادة الدرجـات، مع ما يحصل له، ﷺ، من التعظيم والإكرام.

ومتى حملت الآية على أن المراد بها الكفـار، فهو تخصيص بلا دليل. يوجب ذلك.

٦٥٦ - وقوله تـعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(٣). وقوله: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾(٤) قد تقدم القول فيه.

٦٥٧ - قوله: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾(٥). فليس له ظاهر يقتضى مَن المزيِّن له ذلك والصادُّ له عنه، فلا يصح تعلق القوم به.

---

(١) سورة غافر: الآية ١٧.

(٢) سورة غافر: الآية ١٨.

(٣) سورة غافر: الآية ٢٨.

(٤) سورة غافر: الآية ٣٤.

(٥) سورة غافر: الآية ٣٧.

obeikandl.com

والمراد بذلك: أن الشيطان زين له سوء عمله ودعاه ورغبة فيه، فوُصف من حيث كان كذلك بأنه صاد عن السبيل، ولم يرد أنه مُنع منه بالقسر؛ لأن ذلك كان يبطل التكليف، وإنما أريد به الترغيب والبعث عليه.

ولولا أن الأمر كذلك، لوجب أن يوصف تعالى بأنه زين للكفار وصدّهم عن سبيله، وذلك مما لا يجيزه مسلم!.

٦٥٨ - وقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا**﴾[1] فمن قوّى ما يدل على بطلان قول المجبرة؛ لأنه تعالى بين أنهم عند رؤية العذاب لم ينتفعوا بالإيمان من حيث كانوا ملجَئين إليه، فلو كان مخلوقًا لله تعالى فيهم على كل حال، لكانوا بأن لا ينتفعوا به أولى من حيث كانوا ملجئين، ولوجب أن تكون أحوالهم عند رؤية العذاب وعند فقده إذا هم آمنوا تتفق ولا تختلف. وقد بينا القول فى ذلك مشروحا.

* * *

(١) سورة غافر - الآيتان ٨٤، ٨٥.

obeikandl.com

ومن سورة
فصلت

obeikandl.com

obeikandl.com

٦٥٩ - **فصل**: قد بينا أن قـوله تعالى فى وصف القـرآن بأنه تنزيل، وبأنه قرآن، وبأن آيـاته فُصِّلت، وبأنه عـربى، وبأنه بشيـر ونذير، وبأنه مسـموع، يقتضى حدثه، فلا وجه لإعادته(١).

٦٦٠ - فأما قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾(٢) فقد بينا أن المراد به التمثـيل والتشبيه. ولو كان المراد به التحـقيق لكان عـذرًا لهم فى الإعراض وترك مـا كُلفوا، ولما هددهم تـعالى بقوله: ﴿فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾(٣).

٦٦١ - وأما قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾(٤) فقد بينا أنه يدل على أن الهدى بمعنـى الدلالة والبيان لا بمعنى خلق الإيمان؛ لأنه وصفـهم بأنه هداهم وإن كانوا كـفارًا، وبين أنهم استـحبـوا العمى على الهـدى وإن كان قـد هداهم. وهذا يوجب أن الهـدى أمر يجـوز أن يختـار التمسك به وأن يستحب غيره عليه.

٦٦٢ - وأما قـوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾(٥) فقـد بينا الكلام فى هذه الشهادة، وهل هى فـعل لله، أو فعل لهذه الجوارح، بما لا وجه لإعادته.

---

(١) انظر الآيات: ١ - ٤.

(٢) سورة فصلت: الآية ٥.

(٣) سورة فصلت: الآية ٥.

(٤) سورة فصلت: الآية ١٧.

(٥) سورة فصلت: الآية ٢٠.

٦٦٣ - وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾(١) لا يدل ظاهره على أن الكلام لا يكون إلا خلقًا لله تعالى؛ لأنه كان يجب أن يكون ناطقًا به، وأن لا يصفهم بأنهم ناطقون، ونطقوا!

وعلى أحد الوجهين الذى تأولنا عليه الشهادة، يكون تعالى فاعلا لذلك النطق فى الحقيقة، فلا يكون فيه كلام.

وعلى الوجه الآخر يكون ملجأ إليه، فيضاف إليه من هذا الوجه.

٦٦٤ - وقوله: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾(٢) ليس فى ظاهره أكثر مما أنه سهل لهم وأتاح، أو خلق قرناء، فلا يدل على أن ما به صاروا كذلك من قبله. ولا يمتنع إذا لم يمنعهم من التزيين لما فيه من منع التكليف وزواله، أن يقال: قيضهم تعالى، كما ذكرنا فى قوله: ﴿أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(٣) وما ذكرنا هنالك يغنى عن البيان فى الموضع.

٦٦٥ - وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾(٤) يدل على أنه أحدثه على وجه دون وجه كان يجوز أن يحدثه عليه، وكان يقول عند ذلك الكفار: كيف يكون عربيًا والكلام الذى جاء به عجمى؟

٦٦٦ - وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾(٥) قد تقدم القول فيه.

---

(١) سورة فصلت: الآية ٢١.

(٢) سورة فصلت: الآية ٢٥.

(٣) سورة مريم: الآية ٨٣.

(٤) سورة فصلت: الآية ٤٤.

(٥) سورة فصلت: الآية ٤٤.

obeikandl.com

ومن سورة
حم عسق[1]

(١) سورة الشورى.

obeikandl.com

obeikandl.com

٦٦٧ - **مسألة**: قالوا: ثم ذكر فيها ما يدل على أنه لم يُرِد من جميعهم لإيمان، فقال: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾(١).

والجواب عن ذلك: أنه لا ظاهر للكلام فيما ادعوه؛ لأنه تعالى لم يذكر الوجه الذى لم يجعلهم فيه أمة واحدة وجماعة، فالمراد به محذوف؛ لأنه يحتمل أن يجعلهم أمة فى خصال كثيرة، من حيث صح أن يشتركوا فى أمور كثيرة.

والمراد بذلك: أنه لو شاء أن يلجئهم إلى الإيمان لجعلهم أمة واحدة فيه، ولكنه أراد ذلك منهم على طريقة التكليف، فمن آمن دخل فى الرحمة، ومن ظلم لم يكن له ولى ولا نصير.

٦٦٨ - وقوله تعالى: ﴿**وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾(٢) يدل على بطلان القول بأنه، عليه السلام، يشفع للظالمين من أمته.

٦٦٩ - وقوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾(٣) يدل على نفى التشبيه؛ لأن هذه الكاف إذا دخلت على هذا الوجه وكدت نفى التماثل. وهذا كقول القائل: ليس كمثل فلان أحد، فليس لأحد أن يقول: كيف يدل على ما ذكرتم؟ ومتى حمل على حقيقته أوجب له إثبات المثل، من حيث يفيد أنه لا مثل لمثله!

---

(١) سورة الشورى: الآية ٨.

(٢) سورة الشورى: الآية ٨.

(٣) سورة الشورى: الآية ١١.

obeikandi.com

٦٧٠ - فأمـا تعلقهم بقـوله تعالى: ﴿لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾(١) فى أنه عليه السلام، بين أنه لا حجـة عليهم له، وأن ذلك يوجب عذرهم فبـعيد، وذلك لأن حمله على ما يعلم ضرورة خلافه لا يجوز، ومعلوم من حاله، ﷺ، أنه كان من دينه ومذهبه أن له الحجة لازمـة للكفار، وأن عليهم الانقياد له ولها، فلا يصح حمله على ظاهره، مع أن من خالفنا من المجبرة لا يقول إن الكفار لا حجة للرسول عليهم، فـلا يصح تعلقهم بذلك. وإنما نلزمهم نحن، على مذهبهم، أن لا يكون لله تعالى، ولا لأحـد من الرسل على أحد من الكفار حـجة؛ لأن الغـرض بالحجـة التـمسك بما توجـبه عـند القدرة عليـه وعلى الإعراض عنه، وإن كان تعـالى هو الخالق للكفر فيـهم. لم يصح ذلك فيه، وإن كان تعـالى يخلق فـيه المعارف.. وإنما يحـصل القوم عارفين بهـا - فلا وجه لثـبـوت الحجـة وتكريرهـا وإعادتهـا مرة بعد مـرة، فلما أعـرضوا ولم ينتفعـوا قال هذا القول توبيـخًا وتبكيتًـا؛ ليبين ذلك أن نفس الآية تتـضمن الحجاج عليهم، فكيف يصح أن تتضمن مع ذلك أن لا حجة له عليهم؟ وهذا بين.

٦٧١ - وقوله تعالى: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾(١) يدل على قولنا فى الوعيد؛ لأن الـذى كسبوه هو العقوبة المستـحقة على ظلمهم، فخبر تعالى أنه واقع بهم لا محالة.

وإذا ثبت أنها دائمة، فيجب إدامة وقوعها بهم، وفى ذلك بطلان قولهم فى الإرجاء، والشفاعة لأهل الكبائر.

---

(١) سورة الشورى: الآية ١٥.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٢.

٦٧٢ - قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾(١) فلا يدل على المنع مما كلفوا؛ لأن ظاهره ليس فيه أنه ختم على قلبه، وإنما فيه أنه لو شاء الفعل، وقد بينا أن الختم يفيد ظاهر والعلامة، فلا تعلق لهم بالظاهر المذكور فيها.

٦٧٣ - وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾(٢) يدل على بطلان قول المجبرة؛ لأنه تعالى بين أنه لا يبسط الرزق لئلا يقع منهم البغى، فكيف يظن مع ذلك أنه الذى يخلق الكفر والبغى فيهم؟

ويدل على ما نقول فى اللطف؛ لأنه تعالى خبر بأنه لم يبسط الرزق لهم لئلا يقع منهم البغى، ولو كان ما عنده يقع منهم ذلك بمنزلة ما عنده لا يقع؛ فى أنه لا يجب فى الحكمة فعله، كان لا يمتنع أن يكون تعالى لم يفعل بسط الرزق لهم وقد فعل أمورًا كثيرة عندها كفروا، فكان لا يكون فى أن لم يفعل ذلك فائدة ولا له معنى!

٦٧٤ - وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ﴾(٣) يدل على أن المراد بالضلال العقاب والذهاب بهم عن طريق الثواب. ويدل على أن من يستحق ذلك لا ولى له ولا شفيع، وكذلك قوله: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ﴾(٤)؛ لأنه تعالى إذا أضله على هذا الوجه فلا سبيل له إلى المخلص.

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢٤.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٧.

(٣) سورة الشورى: الآية ٤٤.

(٤) سورة الشورى: الآية ٤٦.

obeikandi.com

٦٧٥ - وأمـا تعلقهم بقـوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾(١) فى أنه تعالى يجوز عليه الحجاب والستر، ويجوز ارتفاعه [عنه]، وأن ذلك يوجب كونه جسمًا فبـعيد، وذلك أن ظاهره إنما يقتضى أنه لا يكلم إلا من وراء حجاب، وإلا بوحى وإرسال، والحجـاب يحتمل أن يكون داخلا على كلامه، وعلى ذاته، وعلى المتكلم، فمن أين أن المراد ذكرناه؟

وقد يقـول أحدنا للأعجـمى وقد كلمه: إنى أكلمك من وراء حـجاب والحجابُ يرجع إليه لا إلى المتكلم، فإذا حصل الكلام عنه ولا يعرف المكلّم، فكأنه يجوز أن يقول: أسمع الكلام من وراء حجاب.

والمراد بالآية: أنه يفـعل الكلام فى الجسم مـحتـجب عن المتكلم غـير معلوم له، فمن حـيث سمعه ولا يعرف الجهـة يجوز أن يقال: هو مُكلّم من وراء حجاب. وعلى هذا الوجه كلم موسى، عليه السلام.

٦٧٦ - وقوله تعالى: ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢) يدل على أن الهـدى هو الدلالة، وهو عـام فى كل مكلف، وأنه، ﷺ، يهـدى الجميع إلى الإيمـان. وقد ثبت أن فـائدة قوله: ﴿مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ هو إنما يهتدى بذلك من يبلغ حـد التكليف من عباده، فيصلح التخصيص فيه من هذا الوجه.

* * *

(١) سورة الشورى: الآية ٥١.

(٢) سورة الشورى: الآية ٥٢.

obeikandi.com

ومن سورة
الزخرف

obeikandl.com

obeikandl.com

٦٧٧ - **مسألة**: قالوا: ثم ذكر - تعالى - فيها ما يدل على أنه الخالق للكفر والإيمان، فقال: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾(١) ويدل فى ذلك على ما ذكرناه.

والجواب عن ذلك: أن ظاهر الأزواج إنما يفيد الأشياء المتشاكلة المتشابهة، فلا يقع هذا القول فى الأعراض وأعمال العباد، وإنما يراد به الصور والأشخاص، الذى يظهر فيها التشابه.

وإنما أراد تعالى أن يبين بهذه الآية أنه الخالق لسائر ما ينتفعون به من الأشياء المتشاكلة التى يقع النفع بها، على طريق التمدح والامتنان، ولو كان تعالى أراد به الكفر لم يكن تمدحًا، ولوجب أن يكون ذمًا!

٦٧٨ - وقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾(٢) فقد بينا أنه يدل على إبطال قولهم فى أنه تعالى يريد ما يقع من العباد من عبادة الأصنام وسائر المعاصى، فى سورة الأنعام.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾(٣) فإنه يدل على أنه لم يفعل ما يكون المكلف عنده أقرب إلى المعصية؛ لأنه بين أنه لم يجعل الكفار بهذه الصفة لئلا يفسد غيرهم، فيكفروا، فيصيروا أمة واحدة.

ويدل على أنه تعالى إذا لم يفعل ذلك، أنه لا يجوز أن يكون خالقًا لنفس الكفر فيهم؛ لأنه لو كان كذلك لم يكن فى هذا القول فائدة، ولوجب

---

(١) سورة الزخرف: الآية ١٢.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٢٠.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٣٣.

obeikandi.com

أن يكون أمر المكلف موقوفا على ما يخلقه فيه من كفر وإيمان، فَعل ذلك فى الكفار أم لم يفعل.

٦٧٩ - وقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾(١) فقد بينا القول فى مثله.

وفى هذه الآية: الظـاهر أنه أراد به أنه يفـيض له فى الآخـرة شـيطانا يقارنه فى النار ليعرف أنه من حيث اتبـعه حل به ما حل من العقوبة، فيكون أعظم الغمة وحسرته.

٦٨٠ - وقوله تعالى: ﴿**أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ**﴾(٢) فيد بينا أن المراد به التمثيل والتشبيه لحالهم بحال الأعمى والأصم، وشرحناه.

٦٨١ - وقوله تعالى: ﴿**وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ**﴾(٣) به إلا إذا كان مجـسمًا يجوز أن يكون تعـالى بالصورة التى تشتـهى، وذلك مما لا يقتضـيه الظاهر.

وبعـد، فليس من قـول أحد أن الله يـشتـهى ويلتـذ به. والظاهر[لا] يوجب ذلك، فلا يصح تعلقهم به.

وبعد، فإن الظاهر إنما يوجب أن لهم فيهـا ما يشتهون، وما الذى يصح ذلك فيه أو لا يـصح لا يعقل بالظاهر. وكما لا يصح أن يسـتدل بذلك على أنه تعالى يدرك لمسًا وذوقًا وشمًا، فكذلك القول فى الرؤية.

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٣٦.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٤٠.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٧١.

٦٨٢ - وقوله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾(١) يدل على الوعـيد والخلود؛ لأنه لم يخص مـجرمًـا من مـجرم، وبين أنهم خـالدون فى النار، والخلود هو الدوام الذى لا انقطاع له.

❊ ❊ ❊

(١) سورة الزخرف: الآية ٧٤.

obeikandl.com

obeikandl.com

ومن سورة
الدخان

obeikandi.com

obeikandl.com

٦٨٣ - قوله تـعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾[١] لا يدل على أنه خلق الكفر فـيهم، لأنا قد بينا أن ظاهر الفـتنة لا يقتضى الكفـر، وإنما أراد تعالى بذلك التكليف وتشـديد المحنة، ولذلك عـقبه بذكـر المعنى فـقال: ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾[٢].

٦٨٤ - وقوله: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٣] فظاهره يقتـضى ما نقول من أنه تعالى اختارهم بوجه من حيث علم أنهم يلحون لذلك، وأن فى بعثهم استصلاح العباد.

٦٨٥ - وقـوله تعـالى: ﴿وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ مُّبِينٌ﴾[٤] أراد بذلك المعجزات، فلا يصح تعلق القوم به فيما يذهبون إليه.

٦٨٦ - وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾[٥] فمن أوضح الدلالة على أنه تعـالى لا يخلق إلا الحسن، وأنه منزه عن الباطل واللغو وسائر القبائح.

٦٨٧ - وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٦] يدل على أن القرآن من فـعله، فلذلك يصح [القول] بأنه يسره وسـهل السبيل إلى معـرفة المراد به.

---

(١) سورة الدخان: الآية ١٧.

(٢) سورة الدخان - الآيتان ١٧، ١٨.

(٣) سورة الدخان: الآية ٣٢.

(٤) سورة الدخان: الآية ٣٣.

(٥) سورة الدخان - الآيتان ٣٨، ٣٩.

(٦) سورة الدخان: الآية ٥٨.

obeikandi.com

٦٨٨ - وقـولـه: ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾، يدل على أن جـعله كـذلك وأراد أن يتذكروا ويؤمنوا، فإذا لم يخص فيـجب أن يكون أراد ذلك من الجميع، كما نقوله.

***

obeikandl.com

ومن سورة الجاثية

obeikandi.com

obeikandl.com

٦٨٩ - دلالة: وقوله تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾(١) يدل على أن الهدى هو الدلالة، على ما بيناه من قبل.

٦٩٠ - وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾(٢) فقد بينا أنه يدل على بطلان قول المرجئة؛ لأن قولهم لا محالة ينتهى إلى أن يقولوا بتساويهما فى باب الثواب، على ما بيناه من قبل.

٦٩١ - وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾(٣) فإنه لا يدل على ما يقوله القوم، وذلك أنا قد بينا أن الختم هو السمة والعلامة؛ فلا يمتنع أن يكون تعالى قد فعل ذلك بالكافر، وقد بينا أن وجود الكافر صحيح السمع والبصر والقلب يمنع من أن يحمل الكلام إلا على طريقة التشبيه لحالهم، من حيث أعرضوا عما كلفوا ورأوا وسمعوا، وإنما شبهوا بمن ذلك حاله فى الحقيقة، وبينا أن ذلك لو ثبت فى الحقيقة لم يمنع من الإيمان؛ لأن الأصم والأعمى لا يمتنع عليهما الإيمان، ولا يستحيل فيهما التكليف.

وإنما أراد تعالى أن من اتخذ غيره معبودًا واتبع الهوى فى ذلك، وأضله وعاقبه على علم بأنه يستحقه، وختم على سمعه وقلبه؛ بأن بين وحكم. فمَن الذى يهديه؟ منبها بذلك على أنه لا مخلص لمن هذا حاله من العذاب ألبتة.

---

(١) سورة الجاثية: الآية ٢٠.

(٢) سورة الجاثية: الآية ٢١.

(٣) سورة الجاثية: الآية ٢٣.

obeikandi.com

٦٩٢ - وقوله: ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[١] يدل على ما نقوله فى العذاب، وعلى أنه لو اضطرهم - تعالى - إلى ذلك وخلقه فيهم لما جاز أن يستحقوا الجزاء عليه.

* * *

(١) سورة الجاثية: الآية ٢٨.

obeikandl.com

ومن سورة الأحقاف

obeikandl.com

obeikandl.com

٦٩٣ - **دلالة**: وقوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾(١) يدل على حدَث القرآن؛ لأنه إذا كان بعد كتاب موسى، متأخرًا عنه، فيجب أن يكون حادثًا.

ومتى قال قائل: إن المراد بذلك أن من قبله إنزال كتاب موسى، فقد زاد فى الظاهر ما ليس منه!

فإن قال: قد روى عن الرسول، عليه السلام: «كان الله ولا شىء، ثم خلق الذكر» وهو القرآن، فكيف يجوز مع هذا أن يكون بعد كتاب موسى؟

قيل له: لا يمتنع أن يكونا جميعا مرادين بالذكر فى الخبر، وإن كان كتاب موسى خلق قبل القرآن؛ لأن الخبر لا يدفع ذلك، فليس فى القرآن ما يوجب أن كتاب موسى حدث فى أيام موسى، فإذا صح ذلك لم يقع فيه تناف.

ولا يمنع من صحة ذلك ما ثبت من أنه فعل القرآن، وأنزله دفعةً واحدة إلى سماء الدنيا، ثم كان ينزل على قدر الحاجة إليه؛ أن ذلك لا تمتنع صحته مع ما ذكرناه من تقدم خلق كتاب موسى له، فجميع ذلك إذن متفق غير مختلف.

٦٩٤ - وأما قوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾(٢) فلا يصح تعلقهم به فى أنه تعالى الخالق لأفعال العباد، وذلك أنا قد بينا أن الصلاح فى الدين يراد به

(١) سورة الأحقاف: الآية ١٢.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

obeikandl.com

الاستصلاح الذى عند مصادفة القبول يكون العبد صالحا؛ لأنه لابد من أن يكون مختارًا محتملا للكلفة فيه ليستحق الثواب، فيكون صالحا به وصلاحًا له، وذلك يقتضى صحة ما ذكرناه فيه، ويفارق صلاح الدنيا؛ لأنه قد يصح أن يكون اضطرارًا، فيصلح المفعول به ذلك لا محالة، كصلاح الجسم فى الخلقة وزوال السقم، إلى ما شاكله.

فإذا ثبت ذلك، فإنما دعا الله فى إصلاح ذريته على هذا الحد الذى ذكرناه فى الدين، بأن يلطف لهم ويعينهم ويسهل سبيلهم إلى الطاعات، فيصيروا صالحين. وقد مضى القول فى ذلك من قبل، ولذلك قال فى نفسه: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ فسأل الله تعالى أن يستهل له الشكر على نِعَمه، وأن يلطف له فى أن يعمل صالحا، وكل ذلك متفق غير مختلف.

٦٩٥ - وأما تعلق المرجئة بقوله تعالى: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾(١) فى أن الذى يرتكب الكبيرة من [أهل] الإيمان لا يجوز أن يُضيِّع، ولا بد أن يُوفّى! فبعيد؛ لأن ظاهره يقتضى أنه يوفيهم نفس أعمالهم، وذلك لا يصح؛ لأن عملهم قد تقضى، فلا يصح هذا الوجه فيه.

فإذا قالوا: المراد بذلك الجزاء المستحق عليه، فقد زالوا عن الظاهر وصاروا ينازعوننا التأويل.

فإن قال: فيجب إذا كان المراد به الجزاء أن يكون يوفيهم ذلك فى كل عمل.

قيل: إن المستحق على الفعل لابد أن يوفيه - تعالى - إذا لم يكن هناك منع، ومتى كانت معه كبائر يستحق عليا من العقاب ما يزيد على ثوابه

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ١٩.

فالثـواب عندنا غير مـستحق للمنع الحـاصل فيه، ويكون الفـاسق هو المخرِجُ نفســه من أن يستـحق ذلك بمعاصـه، فلا يجب متى لم يُوفَّ عـليه أن يكون مظلومًا، بل هو معدول عليه.

٦٩٦ - وأما قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ**﴾[(١)] فلا يصح تعلقـهم فى أنه تعالى خالق فـيهم الحضـور عنده، وذلك أن ظاهر هذا القول لا يوجب ما ادعوه؛ لأن أحدنا لو حـمل غيره إلى حضرة رجل لما جاز أن يقال: صرفه إليـه، وإنما يقال ذلك متى فعل انصرافـه وحضوره، وكذلك نقـول؛ لأن الجن الذين ذكرهم حـضروا وآمنوا، فـلا يمتنع أن يكون تعـالى لطف لهم وأعلنهم. فوصف لذلك بأنه صرفهم إليه يستمعون القرآن.

***

(١) سورة الأحقاف: الآية ٢٩.

obeikandl.com

ومن سورة محمد ﷺ

obeikandl.com

obeikandl.com

٦٩٧ - قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾(١) من أقوى ما يدل على أن الهدى قد يكون بمعنى الثواب، لأنه تعالى بين أنه بعد القتل سيهديهم، فلا يصح حمله على خلق الإيمان كما يقوله المخالف، ولا على الدلالة والبيان لأن التكليف قد زال، فليس إلا ما ذكرناه، ولذلك أتبعه بقوله: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾(٢).

٦٩٨ - وقوله: ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ يدل على أن الضلال قد يكون بمعنى الهلاك، لأنه لا يمكن حمله على الضلال عن الدين؛ على ما يقوله القوم، فليس إلا ما ذكرناه من أنه يهلكها ويبطلها، ويبين ذلك قوله من بعد: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾(٣) فأثبت فى أعمالهم من الضلال ما نفاه عن أعمال من قتل فى سبيل الله، فالمراد واحد على ما ذكرناه.

٦٩٩ - وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾(٤) يبين أن الهدى قد يكون بمعنى الدلالة والبيان؛ لأنه لا يمكن أن يحمل الأمر فيه على خلق الإيمان فيهم، لأنه وصفَهم بالاهتداء، فلابد من أن يكون محمولا على زيادات الأدلة. وقد بينا أن المتهدى هو المتمسك بالأدلة، والعامل بموجبها لابد من أن ترد عليه خواطر من قبل الله - تعالى - تزيده بصيرة إلى ما هو عليه من المعرفة، فيشرح بذلك صدره ويكون إلى الثبات على الاهتداء أو الطاعة أقرب، وهذا مما يعرفه العالِم من نفسه، لأنه كلما كثر نظره تكون معرفته

(١) سورة محمد: الآيتان ٤، ٥.

(٢) سورة محمد: الآية ٦.

(٣) سورة محمد: الآية ٨.

(٤) سورة محمد: الآية ١٧.

بالشىء فى النظر والمعرفة فيزيدهم ذلك سكونًا وثلج صدر، وهذا أيضًا معروف من حال العلماء.

٧٠٠ - وأما قوله: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾[1] فقد بينا أنه لا يمكن للقوم حمله على ظاهره؛ لأن من لعنه الله لا يجب أن يختص بالعمى والصمم، بل أكثرهم بخلاف هذه الصفة، ولو اختصوا بذلك بم يمنعهم من التدبر والقيام بأداء ما كلفوا. فالمراد بذلك ما قدمنا من تشبيه حالهم بحال الأعمى الأصم، من حيث لم ينتفعوا بما سمعوا ولم يتدبروا، فشبه حالهم بما ذكره، كما يقول لمن لا يفهم بعد أن تبين له، وتكرر القول مرة بعد أخرى، إنه حمار وأعمى، قد طبع على قلبه، على طريق التشبيه والتمثيل.

٧٠١ - وقوله: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾ يدل على وجوب النظر. ويدل أيضًا على بطلان قول المجبرة؛ لأن تدبرهم لو كان من خلق الله تعالى فيهم لما جاز أن يبكتوا بهذا القول، وأن يبعثوا على الندبر له، لأنهم إن خلق الله فيهم التدبر، فلابد من أن يكونوا متدبرين على كل حال، وإن لم يخلق ذلك يهم فكمثل، فكيف يصح على هذا القول البعث على التدبر، والتوبيخ على تركه؟

٧٠٢ - فأما تعلقهم بقوله: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ**﴾[2] فى أن ما يحصل فى قلوبهم من المرض والكفر من فعله تعالى، وهو الذى يدخلهم فيه ويخرجهم عنه، فبعيد، وذلك أن ظاهره يقتضى إثبات مرض فى قلوبهم فقط، من غير بيان ذكر فاعله، وإن كان لو أضيف إليه

---

(١) سورة محمد - الآيتان ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة محمد: الآية ٢٩.

تعالى لكان ظاهره إنما يقتضى أن يخلق فى قلوبهم المرض والغم، وهذا مما لا تأباه، على ما ذكرناه فى سورة البقرة.

وإنما أراد تعالى بهذه الآية: المنافقين الذين استسروا عداوة الرسول، عليه السلام، وتواطئوا على الإضرار به، فلما أظهر - تعالى - عنهم هذه الحال جاز أن يوصف بأنه أخرج أضغانهم.

٧٠٣- فأما تعلق من يقول بحدث العلم بقوله: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ**﴾(١) فلا يصح؛ لأن علمه بحالهم وحال ما كلفهم لو لم يتقدم لقبح التكليف والابتلاء أصلا، لأنه إنما يَحسن من المكلف يأمر بما يعلم حسنه واختصاصه بصفات زائدة تقتضى فيه كونه واجبًا وندبًا، فإذا صح ذلك [فلابد] من أن يكون عالمًا بذلك، وبأن المكلف يتمكن من فعله على الوجه الذى كُلِّفَّ، فكيف يصح مع هذا أن يكون علمه بحالهم حادثًا بعد التكليف والابتلاء؟

فالمراد بالآية: ولنأمرنكم بالمجاهدة والصبر حتى يقع الجهاد والصبر منكم وتتميز حالكم من حال من لا يجاهد؛ فتكونُ لفظة «حتى» داخلة على نفس الجهاد، من وقت وقوعه ومفارقته لمن عصى، لا على نفس العلم: وهذا كما يقول أحدنا: ما علم الله منى ما ذكرتَه، وإنما يعنى بذلك نفى المعلوم لا نفى العلم.

٧٠٤- وقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ**﴾(٢) يدل على الإنسان قد يُبطل عمله الذى فعله، وقد علمنا أن ما وقع لا يجوز أن يبطله، وليس فى المقدور؛ لأنه قد تقضَّى ووقع. فالمراد

---

(١) سورة محمد: الآية ٣١.

(٢) سورة محمد: الآية ٣٣.

إذن: لا تبطلوا الثواب المستحق عليه. وفى ذلك دلالة على أن فى الطاعات ما يبطل ثوابه بالمعاصى، على خلاف ما يقول بعض المرجئة فى ذلك.

* * *

obeikandl.com

ومن سورة الفتح

obeikandl.com

obeikandl.com

٧٠٥ - أما تعلقهم بقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾(١) فى أن مالم يفعله من الذنب يجوز أن يؤاخذ به - ولذلك صح التماس المغفرة فيه - بعيد، وذلك أنه تعالى ذكر أنه يغفر فى المستقبل ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وذلك غير ممتنع أن يكون ما تقدم ذنبه قبل النبوة وما تأخر منه بعد النبوة يغفرها فى الآخرة له، وفى الدنيا بعد وقوعها، فليس فى الظاهر ما ذكروه، فيصح تعلقهم به.

ولا يمتنع أن يكون الفتح الذى فتحه الله عليه مستحق فى كثير من الطاعات المستقبلة التى يقتضى غفران ذنبه، فلذلك قال - تعالى - هذا القول. ومتى لم يحصل على هذا القول لم يكن لغفران الذنب تعلق بالفتح. وقد علمنا أن ذلك لا يصح.

٧٠٦ - فأما إضافته تعالى الفتح إلى نفسه فلأنه أعان ونصر وسهل وقوى وثبت أقدامهم، فصح بهذه الأمور أن يضيف ذلك إلى نفسه على ما تقدم ذكره.

٧٠٧ - وقوله تعالى: ﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾(٢) فقد بينا من قبل وجوه النصرة كيف تقع، وعلى أى سبيل يكون من فعله تعالى، فلا وجه لإعادته، لأنا قد بينا أنه ينصر بسائر وجوه النصرة، بالحجة والمعونة وتثبيت لأقدام، وتقوية النفوس، والإمداد بالملائكة، إلى غير ذلك فيصح بذلك أجمع أن يصف نفسه بأنه نصر الرسول والمؤمنين.

---

(١) سورة الفتح - الآيتان ١، ٢.

(٢) سورة الفتح: الآية ٣.

٧٠٨ - فأما تعلقهم بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾(١) فى أنه تعالى يخلق إيمان المؤمن، فبعيد، وذلك أن الظاهر إنما يقتضى أنه أنزل السكينة فى قلوبهم، ولفظة «الإنزال» لا تقتضى الخلق، فكيف يصح تعلقهم بالظاهر؟

والمراد بذلك: أنه سكن قلوبهم وآمنهم من العدو، فمن حيث فعل ذلك كان منزلا للسكينة فى قلوبهم، ليزدادوا ويقووا على الجهاد، ويطلبوا الظفر.

وهذا هو المراد بقوله تعالى بعد ذلك: ﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾(٢) وقوله تعالى من بعد: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣).

ومتى حمل الكلام على ما ذكرنا كان الكلام على الحقيقة؛ لأن الأمر الذى تأولناه عليه من فعله تعالى. وإن كان فى شيوخنا، رحمهم الله، من تأوله على معنى اللطف والمعونة، وأنه تعالى لما فعل هذه الأسباب الداعية لهم إلى إثبات القلب وسكونه، جاز أن يضيف ذلك إلى نفسه.

٧٠٩ - فأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(٤) فلا يصح تعلق المشبهة به فى إثبات اليد لله تعالى، وذلك أن ظاهره يوجب جواز المصافحة عليه، وجواز اليمين على يده، حتى يصح فيه معنى الفرق، وقد علمنا أن القوم لا يجوزون ذلك!

---

(١) سورة الفتح: الآية ٤.

(٢) سورة الفتح: الآية ١٨، ١٩.

(٣) سورة الفتح: الآية ٢٦.

(٤) سورة الفتح: الآية ١٠.

obeikandi.com

ولا يكون فى وصفه - تعالى - بأن يده فوق أيديهم، على معنى المكان - على هذا الوجه - فائدة، لأن الضعيف قد تكون يده فوق يد القوى. فالمراد إذن بالآية» إذا علمنا أن المقصد أنه أوى منهم وأدر، مبينًا بذلك أنهم إذا نكثوا البيعة فالله تعالى يقدر عليهم وعلى إنزال العقوبة بهم.

٧١٠ - وقوله تعالى: ﴿**فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ**﴾(١) ثم قوله من بعد: ﴿**وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم**﴾(٢) فلا يدل ظاهره على أنه تعالى خلق أعمالهم، وذلك أن المعقول بالتعارف إذا قال القائل: كففت فلانًا عن فلان؛ أنه فعل الأسباب التى معها كف عن الإقدام، ولا يعقل من ذلك أنه قد اضطره، فهذا هو المراد بالظاهر. فإذا منعهم تعالى من مقاتلة الكفار بالنهى والزجر، ومنع الكفار من ذلك بإلقاء الرعب فى قلوبهم، جاز أن يقول تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم**﴾، وقد تقدم نظائر ذلك من قبل.

* * *

---

(١) سورة الفتح: الآية ٣٠.

(٢) سورة الفتح: الآية ٣٤.

obeikandl.com

ومن سورة الحجرات

obeikandl.com

obeikandl.com

٧١١ - أما قـوله تعالى: ﴿وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾(١) فإنه يدل على أن ثواب الإنسان ينحبط بما يستحقه من العقاب على الكفر والفسق، على ما نذهب إليه فى الإحباط والتفكير، وذلك يبطل قول من ينفى ذلك من المرجئة.

٧١٢ - وقوله تـعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾(٢) فإنه يدل على أمور: منها: انقسام المعاصى إلى هذه الأقسام الثـلاثة، وأن كل قسم منها يتميـز عن صاحبـه، فلا يكون داخلا فى جملته، فقد تكون المعصية من باب الفسق خارجة من باب الكفر، وقد تكون معصية صغيرة خارجـة عن البابين جميعًا. وهذا يبطل قول من يقول إنه ليس فى المعاصى صغائر، وقول من لا يثبت الفاسق بالإطلاق إلا الكافر.

ومنها: أنه يدل أنه يحب من جميع المكلفين الإيمان، ويكره منهم ضده من الوجوه الثلاثة، لأنه لم يخص فى الخـطاب مكلفًا من مكلف، ولا يجوز أن يكون محـببًـا إليهم إلا ما يريـده منهم، ولا يجوز أن يكره إليـهم إلا ما يكرهه، والمحبة المذكورة لا يجوز أن تكون الشـهوة؛ لأن المؤمن لا يشتهى ما يفعله من الإيمان. لكونه شاقًا عليه، وإنما يشتهى المرء ما يتلذذ به ويسر.

فإذا صح ذلك، وجب أن يكون المـراد به الإرادة، وقد علمنا أن الإرادة تقع من المؤمن عـلى طريق الاخـتـيار لا عـلى طريق الاضطرار. فـالمراد إذن بالكلام أنه فعل ما عنده أحب المؤمن الإيمان؛ من الأمر والوعيد والترغيب.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٢ .

(٢) سورة الحجرات: الآية ٧.

وأما قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فمحمول على ظاهره؛ لأن خبره عن الإيمان ووعده عليه الثواب، يوصف فى الحقيقة بأنه يزين الإيمان.

وفعل تعالى من النهى والوعيد والتخويف ما بعث به المكلف على كرهة الكفر والفسق، ولذلك صح أن يضيفه إلى نفسه، وإن لم يفعل نفس الكراهة فيه.

٧١٣ - وقوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾(١) فإنه لا يدل على أن الباغية منهما مؤمنة فى تلك الحال؛ على ما تقوله المرجئة، وذلك لأنه وصفها بالإيمان ولما وقع البغى والقتال، وهذا كقولنا: إن المؤمن إذا ارتد وجب قتله، ولا يوجب ذلك كونه مرتدًا فى حال إيمانه!

والآية دالة على ما نقوله من أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يجب لأنه تعالى أوجب الإصلاح بينهما؛ لأن حالهما لا يخلو من وجهين: إما أن يكُونا مبطلين. أو أحدهما محق والآخر مبطل، لأنه لا يصح كونهما محقين جميعًا والحال هذه، ولابد من أن يكون القتال الواقع منهما قبيحًا. فأوجب الله - تعالى - الإصلاح بالقول وما يجرى مجراه، ثم بين أن ذلك إذا لم يصادف القبول وبغت إحداهما، وجب كفهما عن البغى بالمقاتلة. وفيه بهذين الطريقين اللذين أحدهما الإصلاح بالقول، والآخر بالقتال، على ما بينهما من الوسائط، مما يقرب عنده كف الباغى عن البغى، ولو كان الأمر على ما

(١) سورة الحجرات: الآية ٩.

obeikandi.com

تقوله المجبرة لم يكن لذلك معنى؛ لأنه تعالى إن خلق فيهم المقاتلة فالإصلاح لا يؤثر، فإن لم يخلق ذلك فكمثل، وكذلك كل من ينهاه عن منكر.

فعلى قولهم لا فائدة فى النهى عنه، لأن أمره فى المستقبل موقوف على خلقه - تعالى - فيه المنكر أو ضده، فما الفائدة فى ذلك؟ وإنما يصح على مذهبنا، لأنا نبعث بذلك المقدم على المنكر إلى الكف عن أمثاله فى المستقبل، ونكون نحن عند ذلك أقرب إلى الامتناع من المنكر. فأما على مذهبهم لا فائدة فيه على وجه، وكذلك الأمر بالمعروف.

٧١٤ - وقوله: ﴿**بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ**﴾(١) فمن قوّى ما يدل على أن الفاسق لا يجوز أن يكون مؤمنًا؛ لأنه لو صح اجتماع الأمرين، لم يكن لترتيبه لهما على الوجه الذى ذكره معنى!

٧١٥ - وقوله تعالى: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾(٢) فإنه لا يدل على أن الإيمان غير الإسلام، وذلك أن المراد بهذا الكلام أنهم لم يؤمنوا فى الحقيقة، وانقادوا واستسلموا، فذكر تعالى فى حالهم ما ذكر؛ يبين ذلك أنه تعالى قال: ﴿**وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾(٣) ومَن لم يدخل الإيمان فى قلبه ألبتة، لا يكون مساماً عند أحد إلا بعض المتأخرين؛ فإنه يقول فى مُظهر الشهادتين إنه مسلم، لكنه لا يقول مع ذلك إنه مؤمن أيضًا. فلا يقدح خلافه فيما ذكرناه.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١١.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٤.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٤.

obeikandi.com

٧١٦ - وقوله تـعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾(١) فإنه يدل على أن الهدى غـيرُ الإيمـان من حيث فصـل بينهما، ويدل علـى أن الإيمان هو الإسلام لأنه قال: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾(٢) ولو كان أحدهما غير الآخر لم يكن للثانى تعلق بالأول.

* * *

(١) سورة الحجرات: الآية ١٧.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٧.

obeikandl.com